

# التكامل لا التفرقة: تجربة صفار اللاجئين في المدارس البريطانية

بقلم: راشيل هيك

«جئت إلى هنا من الحرب، فكان لا بد أن نترك بلادنا وإلا قتلنا. وعندما قدمنا إلى هنا ساعدتني المدرسة على الإحساس بالثقة...»

**تشير** البحوث السابقة إلى أن تجربة

الأطفال اللاجئين في المدارس يمكن أن تحدث فرقا حقيقيا في قدرتهم على الاستقرار واستعادة الإحساس بالانتماء<sup>١</sup>.

وحيث أن الحكومة البريطانية تقترح تدابير لإبعاد طالبي اللجوء عن التيار الرئيسي للعملية التعليمية ليتلقوا تعليما منفصلا<sup>٢</sup>، فإننا الآن في لحظة مواتية جدا للتفكير في دور المدارس في حياة صفار اللاجئين.

تستند هذه المقالة إلى نتائج مشروع بحثي<sup>٣</sup> يركز على تجربة صفار اللاجئين في مدرستين ثانويتين في لندن ورؤيتهم للعوامل التي ساعدتهم على الاستقرار والتقدم في مدارسهم، وقد تم في هذا الإطار إجراء مقابلات مع ١٥ تلميذا (من الصومال وكوسوفا وإثيوبيا وكولومبيا وقبرص التركية وإريتريا وتركيا والعراق)، ومع كبار المسؤولين بالمدرستين على مدى ستة أشهر.

تحدث التلاميذ عن فقد الأهل والمكان والممتلكات في آن واحد. وكان أحدهم قد افترق عن أمه وهو في الثامنة ولم يلتق بها ثانية على مدى خمس سنوات. وكان الأطفال الذين يعيشون مع أباؤهم يبدون الأكثر استقرارا، أما الآخرون فيعيشون مع أحد الأبوين فقط أو مع أقربائهم أو في رعاية الخدمات الاجتماعية. وكان ثلث من أجريت معهم مقابلات يعرفون على وجه التأكيد أن أحد أباؤهم قد قتل، أو يشكون في ذلك. وتحدث الكثيرون من التلاميذ عن استمرار إحساسهم بعدم الشعور باليقين.

«إننا لا نعرف حتى ما حدث لأبي وللباقيين. أعتقد أننا نعرف أنهم قتلوا... نعرف أنهم قتلوا والناس يحاولون أن يقولوا لنا إنهم لم يقتلوا، لكنهم قتلوا. والآن ها نحن ننظر.»

وربط أحد الصفار بين تجربته في فقد أسرته وبين أمله في أن يفلح ويحقق طموحاته؛ فالمدرسة بالنسبة له تمثل محورا للارتكاز والمعلمون مصدرا للدعم العاطفي.

وأعرب كل التلاميذ عن طموحات كبيرة وعن الأمل في الوصول إلى مرحلة الجامعة عندما يتخرجون من المدرسة.

وأشار التلاميذ إلى عدد من العوامل التي ساعدتهم على الاستقرار والبدء في الإنجاز وسط نظام يعد غالبا مختلفا كل الاختلاف عما عهدوه. وتبين من ذلك وجود عناصر محاور هامة.

## المعلمون المتخصصون

ذكر جميع التلاميذ أهمية وجود معلمين مختصين قادرين على مساعدتهم لغويا وعلى التخاطب معهم بلغتهم الأصلية، وأهمية أن يفهم المعلمون كيفية التعامل مع الاحتياجات التعليمية الخاصة لمساعدتهم على الاستقرار.

«إنهم [أي المعلمين] يساعدون التلاميذ ويعرفونهم على المكان وقد ساعدوني، وكان هناك معلم من الصومال يترجم الدروس، وهو ما يعد في غاية الفائدة.»

وقال التلاميذ الذين يعانون من صعوبات إن زيادة الاستعانة بالتواصل بين المعلم وكل تلميذ على حدة يمكن أن يساعدهم كثيرا. وأشاروا إلى أهمية زيادة العون فيما يتعلق بمهارات اللغة الإنجليزية.

## الأصدقاء

قال معظم التلاميذ إن وجود زملاء بالمدرسة من موطنهم الأصلي يجعلهم يشعرون بالارتياح على الفور. كما ذكر كثيرون منهم أهمية الاختلاط بالتلاميذ الذين ينتمون لخلفيات متعددة. وقال جميعهم إن لهم أصدقاء الآن في المدرسة.

«في البداية كان المعلمون هم الذي يساعدوني على التعلم، ثم أحد أصدقائي الإنجليزي، نعم، لقد كان أقرب أصدقائي هو الذي يساعدني في اللغة الإنجليزية، ويساعدني على بذل أفضل ما عندي.»

«عندما أردت أن نتحدث عن كيفية الاستقرار في المدرسة، أقول لو كان لك أصدقاء من أبناء ثقافتك فعندئذ سيصعب عليك أن تستقر وتقيم الطبيعة الإنجليزية لأنها مختلفة. أما بين أناس ينتمون لثقافات مختلفة فإنك تتعلم أكثر ويستقر بك المقام.»

## موقف «المدرسة إجمالا» من اللاجئين

أشار كل التلاميذ إلى التأثير الإيجابي لموقف المدرسة إجمالا حيال القضايا التي تؤثر على اللاجئين. فالتلاميذ الذين استطاعوا تحديد هويتهم كلاجئين وشعروا بأن تجربتهم وإسهاماتهم تحظى بالتقدير استطاعوا أن يكتسبوا الإحساس بالانتماء أسرع من غيرهم. وفي إحدى المدرستين، حيث تم إدراج الموضوعات التي تؤثر على اللاجئين ضمن المناهج، أسهمت المناقشات الدورية حول قضايا اللجوء في مساعدة التلاميذ على التوصل إلى فهم أفضل للإسهامات الإيجابية التي يقدمها صفار اللاجئين للحياة المدرسية. أما المدرسة التي لا توجد فيها هذه السياسات فلم يكن لدى الصفار بها الإحساس بأن تجاربهم يهتم بها أحد بنفس الطريقة؛ ولذلك فإنهم يشعرون بأنهم على الهامش.

وحدد التلاميذ عددا من القضايا التي يمكن أن تجعلهم يشعرون بالاستقرار والنجاح إذا تعامل معها مجتمع المدرسة كما ينبغي.

## ١. المضايقات

في إحدى المدرستين يشعر التلاميذ بالحيرة في مناقش تجاربهم، ويعتقدون أن التلاميذ الآخرين والمعلمين يقدررون ذلك، ومن ثم تكونت في نفوسهم مشاعر إيجابية تجاه كونهم لاجئين وقدرتهم على الإسهام في المدرسة بفضل تجربتهم ومهاراتهم الخاصة. وأشار هؤلاء إلى أن المضايقات عموما غير مقبولة، وأنها إذا حدثت فإنهم على ثقة من أنهم يستطيعون مناقشتها مع المعلمين.

أما في المدرسة الأخرى فقد قال معظم التلاميذ إنهم لا يشعرون بالارتياح عندما يشار إليهم على أنهم لاجئون، وإنهم لا يستطيعون مناقشة مسألة فرارهم والحديث

« لا يعامل الشخص المقيم في دار  
للضيافة معاملة الفرد من سكان  
المنطقة التابعة للسلطة التعليمية  
المحلية »

(مشروع قانون الجنسية واللجوء  
والهجرة لعام ٢٠٠٢)

والتعبير عن معارضته من جانب الكثيرين في  
الحقل التربوي والنقابي ومنظمات دعم  
اللاجئين. أما إذا تم تمرير تشريع يقضي  
بإنشاء نظام تعليمي يستبعد هؤلاء التلاميذ  
فسوف يفصل الصغار وأسرههم بالفعل عن  
مجتمعاتهم، وسيفقدون الفرص غير الرسمية  
لتعلم الإنجليزية وتحسين فهمهم للمجتمع  
البريطاني. وكما قال الصغار الذين أجريت  
المقابلات معهم فإن ذلك سوف يعوقهم  
ويعطل اندماجهم في المجتمع. وتبين تجربة  
التلاميذ في هاتين المدرستين أن الرؤية  
الواقعية تفرض تقديم الدعم التعليمي  
والعاطفي المناسب في إطار مدارس التيار  
التعليمي الرئيسي.

راشيل هييك باحثة اجتماعية ومحاضرة  
بجامعة ميدلسيكس.  
عنوان البريد الإلكتروني:  
rachel.hek@virgin.net

للأطفال اللاجئين وإنه من الضروري أن  
تأخذ همومهم مأخذ الجد. وتحدث البعض  
على وجه التحديد عن المعلمين الذين يرونهم  
عنصريين وحثوا المدرسة على أخذ بواعث  
قلقهم على محمل الجد.

### ج. الروابط مع الوطن

قال جميع التلاميذ إن أبويهم وورعاتهم  
يشعرون بالترحاب في مدرستهم وإن الأغلبية  
يحضرون اجتماعات الآباء المسائية، وهذا  
أمر هام للتلاميذ يجعلهم يشعرون بأنهم جزء  
من مدرستهم. وقال معظم التلاميذ إن السبب  
الرئيسي الذي يجعل آباءهم يشعرون  
بالترحاب وفهم المدرسة هو تعاون المعلمين.

« المعلمون طيبون وودودون مع أمي، وفي  
كل فصل دراسي يحضرون مترجما في  
اجتماع الآباء. »

واتضح من الحديث مع التلاميذ أن المدرسة  
عندما تطبق سياسات تعزيز التواصل مع  
الآباء فإن التلاميذ يشعرون بدرجة أكبر من  
المشاعر الإيجابية والقدرة على اعتبار  
أنفسهم جزءا من مدرستهم. كما أنهم  
يشعرون بوضوح أن المدرسة أعطتهم هم  
وأسرههم الفرصة للمشاركة في المجتمع  
الواسع في بلد جديد. وتوحي بعض الأقوال  
التي جاءت من بعض الصغار بأن أسرههم  
تستفيد كذلك من علاقتها بالمدرسة.

عن خلفياتهم في المدرسة بسهولة. ويشعر  
هؤلاء التلاميذ بأنهم عرضة للمضايقات  
بسبب لهجاتهم وانتماءاتهم العرقية، وهو  
الوضع الذي يزداد صعوبة بسبب إدراكهم أن  
مدرستهم لا تتعامل بحزم مع هذه  
المضايقات.

« عندما جئت إلى هنا في البداية كان  
الأمر صعبا علي، فقد كان الأولاد الآخرون  
يقولون إنني غبي وإن لهجتي غبية. وكان  
الأمر كله يتركز حول اللهجة. وأعتقد أنهم  
كانوا يحاولون أن يحبطوني لأنني جئت من مكان  
مختلف. »

### ب. مواقف المعلمين

تحدث التلاميذ من كلا المدرستين على  
الصعوبات المتعلقة بمعلمين بعينهم  
يعتبرونهم غير مفيدين و/أو غير منصفين.  
ويشعر التلاميذ بالاستياء خصوصا من عدم  
استماع المعلمين لهم ومن معاملتهم لهم  
معاملة غير عادلة، بينما أعربوا عن تقديرهم  
للمعلمين الذين يقرون بصعوبة التأقلم مع  
مجموعة المواد التي يدرسونها، وأوضحوا  
أنهم يشعرون بالضياع والمهانة عندما لا  
يستطيعون أن يفهموا ما يحدث في الفصل  
فيضطرون لسؤال المعلم لمساعدتهم. وقال  
جميع التلاميذ إنه من الضروري أن يستمع  
المعلمون كأفراد ومجتمع المدرسة ككل

### تعليقات أخيرة

إن التشريع المقترح في المملكة  
المتحدة لتعليم أطفال اللاجئين  
تعليميا منفصلا يقوض المكاسب  
التي حققها صغار اللاجئين في  
مدارس التيار الرئيسي التي تقدم  
لهم الدعم بصورة مناسبة. ومن  
المؤكد أنه من مصلحة صغار  
اللاجئين كأفراد ومن مصلحة  
المجتمع البريطاني ككل أن  
يساعد التعليم المدرسي النظامي  
على تطوير القدرات والفهم  
لتعليم كل أطفالنا.

ويجري الآن رفع  
الاحتجاجات القانونية  
على هذا المقترح.

طالبة في مدرسة ثانوية  
في غلاسكو تقدمت  
بطلب اللجوء، المملكة  
المتحدة.

١. ه. ولد-جيورجيس، س. كيداني، أ. جيلي «إعطاء أطفال  
وشباب اللاجئين الفرصة للتعبير: تجربة أطفال وشباب  
اللاجئين مع الخدمات المحلية»، وحدة كامدن للخدمات  
الأسرية، ١٩٩٨ ج. روتر وك. جونز (محرران) «تعليم اللاجئين:  
رسم خريطة للحقل التعليمي»، ترينتام، ١٩٨٨ ج. روتر «دعم  
أطفال اللاجئين في بريطانيا في القرن الحادي والعشرين:  
مجموعة من الحقائق الأساسية»، لندن، ترينتام ٢٠٠١.

٢. مشروع قانون الجنسية واللجوء والهجرة لعام ٢٠٠٢. انظر:  
www.parliament.the-stationery-office.co.uk/pa/  
cm200102/cmbills/119/2002119.pdf ص ٢٣-٢٤.

٣. مشروع بحثي أجرته راكيل هييك (العمل الاجتماعي) ود.  
روزماري سيلز (السياسات الاجتماعية) بجامعة ميدلسيكس،  
بتمويل من ميزانية بحوث التنشيط الإقليمي بجامعة  
ميدلسيكس.

٤. لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى موقع مجلس  
اللاجئين: www.refugeecouncil.org.uk/supportus/  
campaigns/camp007.htm